الآفة الرابعة
العزلة أو التفرد

والآفة الرابعة التى يصاب بها بعض العاملين ، وعليهم أن يعملوا جاهدين على التطهر منها : إنّما هى العزلة أو التفرّد ، ولكى يكون لدينا إلمام دقيق بأبعاد ومعالم هذه الآفة ، سنتناولها على النحو التالى :

أولا: معنى العزلة أو التفرّد :

لغة : العزلة أو التفرد فى اللغة تعنى الابتعاد أو التنحى جانبا ، قال صاحب لسان العرب: « عزل الشيء يعزله عزلا ، وعزّله فاعتزل وانعزل، وتعزّل: نحاه جانبا، فتنحى، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [الشعراء] ، معناه : أنهم لمّا رُمُوا بالنجوم ـ كما فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن] . منعوا من السمع» (١) .

اصطلاحا : أما فى اصطلاح الدعاة فيراد بها: إيثار حياة التفرد على حياة الجماعة، وذلك بأن يكتفى العامل بإقامة الإسلام فى نفسه ، غير مبالٍ بالآخرين ، وبما هم فيه من ضياع وهلكة ، أو أن يقيم الإسلام فى نفسه ، ويسعى جاهدا لإقامته فى الناس ، ولكن بجهود فردية ، بعيدة عن التعاون والتآزر من بقية العاملين فى الميدان .

ثانيا : أسباب العزلة أو التفرد :

وهناك أسباب تؤدى إلى هذه العزلة أو التفرد ، نذكر منها :

١ ـ الوقوف عند بعض النصوص الشرعية المرغبة فى العزلة ، مع الغفلة عن موقعها من النصوص الأخرى الداعية إلى حياة الجماعة :

فقد جاءت بعض النصوص الشرعية مادحة للعزلة، ومرغّبة فيها، كقوله ﷺ:

---

(١)انظر : لسان العرب لابن منظور ١١ / ٤٤٠ ، مادة : « عزل » .

«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر ، يفرّ بدينه من الفتن » (١) .

وكإجابته للذى سأل: أىّ الناس أفضل ؟ قائلا : « رجل يجاهد فى سبيل الله بماله ونفسه »، قال: ثم من ؟ قال : « مؤمن فى شعب من الشعاب ، يعبد الله ربّه، ويدع الناس من شره » (٢) .

وكقوله فى حديث حذيفة بن اليمان : « . . . فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضّ بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك » (٣) .

وكقوله :« من خير معاش الناس لهم: رجل ممسك عنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه ، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه ، يبتغى القتل والموت مظانه ، أو رجل فى غنيمة فى رأس شعفة من هذه الشعف، أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويعبد ربّه، حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا فى خير » (٤) .

وكذلك جاءت بعض النصوص الشرعية الأخرى داعية إلى السير تحت لواء الجماعة، والعيش فى كنفها ، كقوله تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة : ٢] . ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] . ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴿٤﴾ ﴾ [الصف] .

وكقوله ﷺ : « . . . إياكم والفرقة ، وعليكم بالجماعة ، فإنّ الشيطان مع

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب من الدين الفرار من الفتن ١/ ١١ ، وكتاب الفتن : باب التعرب فى الفتنة ٩ / ٦٦ من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب فضل الجهاد والرباط ٣ / ١٥٠٣ رقم (١٨٨٨) من حديث محمد بن الوليد الزبيدى ، ومعمر ، كلاهما عن الزهرى، عن عطاء بن يزيد الليثى ، عن أبى سعيد الخدرى ، مرفوعا به وبنحوه .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الفتن : باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ؟ ٩/ ٦٥، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن . . .إلخ ٣ / ١٤٧٥، ١٤٧٦ رقم (١٨٤٧) ، كلاهما من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ مرفوعا به ، واللفظ للبخارى ، بيد أنه ورد مختصرًا هنا ومطولا هناك .

(٤) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب فضل الجهاد والرباط ٣ / ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ رقم (١٨٨٩) من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعا به .

الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة » (١) . « يد الله مع الجماعة » (٢) . « . . . وأنا آمركم بخمس ، الله أمرنى بهنّ : بالجماعة ، وبالسمع والطاعة ، والهجرة ، والجهاد فى سبيل الله ، فإنّه من خرج من الجماعة قيد شبر ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع . . . » قالوا : يا رسول الله، وإن صلى وصام ؟ قال : « وإن صام وصلّى، وزعم أنه مسلم » (٣) .

والعامل الذى يقف عند النصوص الأولى المرغبة فى العزلة ، ناسيا أو متناسيا صلتها بالنصوص الأخرى الداعية إلى مخالطة الجماعة ، والعيش فى رحابها ، يبتلى أو يصاب لا محالة بآفة العزلة أو التفرّد .

٢ ـ الوقوف عند ظاهرة العزلة التى أثرت عن بعض السلف مع الغفلة عن الظروف التى دعت إلى ذلك :

وقد يكون الحامل على العزلة ما أثر عن بعض السلف : أنهم آثروا العزلة على مخالطة الجماعة ومعايشتها .

فها هو نبى الله إبراهيم عليه السلام يقول لقومه ـ كما حكى القرآن الكريم: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم : ٤٨] .

وقد كان الحامل له على ذلك ، استنفاذ وسائل التغيير والإصلاح ، ثم إصرار قومه على الكفر الألد ، الذى خشى معه الفتنة فى الدين ، ففرّ منهم ، واعتزلهم .

وها هو أبو ذرّ، وابن عمر، ومعهما جمع من الصحابة يعتزلون جماعة المسلمين، ويعيشون وحدهم لما وقعت الفتنة، وقد كان الباعث لهم على ذلك، صيانة أيديهم أن تغمس فى دماء زاكية طهّرها الله ـ عزّ وجل ـ ولا يعرف مَنْ المصيب ، ومن غير المصيب .

وهذا هو الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، يقضى أخريات أيام حياته فى عزلة بعيدا عن الناس، وقد كان عذره، تجنّب مصادمة السلطات حقنا لدماء المسلمين .

وإنّ العامل الذى يقرأ عن هذه العزلة ، التى عاشها هؤلاء ، وينسى ظروفها

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الفتن : باب ما جاء فى لزوم الجماعة ٤/ ٤٠٤ ، ٤٠٥ رقم (٢١٦٥) وعقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى السنن : كتاب الفتن : باب ما جاء فى لزوم الجماعة ٤ / ٤٠٥ رقم (٢١٦٦) وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب . . . » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٤ / ٢٠٢ من حديث الحارث الأشعرى رضي الله عنه .

وملابساتها يتولّد فى نفسه معنى الاقتداء ، والتأسى ، أو على الأقل المحاكاة والتشبّه ، فيلجأ إلى حياة العزلة، بعيدا عن جو الجماعة، حتى وإن لم يكن لهذه العزلة ما يبررها وما يدعو إليها .

٣ ـ الظنّ أن حياة الجماعة تلغى ذاتية المنتمى إليها ، وتؤثر على شخصيته مع الغفلة عن منهج الإسلام فى التوفيق بين الفردية والجماعية :

وقد يكون الحامل على العزلة ظنّ بعض العاملين أنه بعيشه مع الجماعة ، وانتمائه إليها تلغى ذاتيّته، وتذوب شخصيته، فيبقى إمّعة: إن أحسن الناس أحسن ، وإن أساءوا أساء ، مع الغفلة عن منهج الإسلام فى التوفيق بين الفردية والجماعية ؛ إذ يقوم هذا المنهج على دعوة الفرد إلى أن يعيش فى كنف الجماعة، ويستظل بظلها على النحو الذى قدمنا ، فى الوقت الذى يؤكد فيه أنه مسئول مسئولية كاملة عن كل تصرف يقع منه ، فيقول له: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر: ١٨] . ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) ﴾ [المدثر] . ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ [البقرة : ٤٨ ، ١٢٣] . ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) ﴾ [القيامة] . ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [فاطر : ١٨] .

وأن عليه أن يبذل النصيحة بشروطها وآدابها لكل واحد فى الجماعة مهما علا كعبه ومهما عظمت مكانته «الدين النصيحة» قلنا: لمن ؟ قال: « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (١) . « المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه »، وفى رواية : « المؤمن مرآة أخيه، إن رأى فيه عيبا قومه » (٢) .

ولقد عاش الصحابة مع النبى ﷺ وعاش المسلمون بعضهم مع بعض ، فما رأينا فردا ذابت شخصيته أو تلاشت فرديته فى الجماعة، وإنما رأينا النصيحة والشورى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وما قول بعضهم لعمر : « لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » عنا ببعيد .

وبهذه الدعوة ينشأ ويبنى فى نفس المسلم كيان داخلى متميز ، واضح المعالم والحدود ، وتبقى أعصابه صاحية منتبهة لكل ما يمسه ، ولو من بعيد.

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى النصيحة ٤ / ٢٨٦ رقم (٤٩٤٤) من حديث تميم الدّارى مرفوعا بنحوه.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى النصيحة والحياطة ٤/ ٢٨٠ رقم (٤٩١٨) من حديث أبى هريرة مرفوعا به .

إن هذا الظن ، وهذه الغفلة ، ينتهيان بالعامل لا محالة إلى أن يلجأ إلى العزلة، فيصاب بآفة من أخطر الآفات .

٤ ـ الغفلة عن طبيعة تكاليف مخالطة الجماعة ، والعيش بين الناس :

وقد يكون الحامل على العزلة ، الغفلة عن طبيعة تكاليف مخالطة الجماعة ، والعيش بين الناس ؛ إذ إن طبيعة هذه التكاليف : أنّها كثيرة ، ضخمة، تستوعب حياة الإنسان من أول يوم إلى آخر يوم، وقد لا تنتهى، وغالبا ما تكون على خلاف ما تهوى الأنفس ، ومالم يكن العامل منتبها إلى ذلك ، فإنّه يهمل نفسه من التزكية ، والتربية ، والمجاهدة ، وتسيطر عليه الأهواء والشهوات ، وبمرور الأيام يضعف ويعجز عن القيام بهذه التكاليف، وحينئذ يبحث عن مخرج أو ملجأ فلا يجد سوى العزلة أو التفرّد.

٥ ـ التذرع بأن مخالطة الناس تشغل عن التفرّغ للعبادة ، مع الغفلة عن المفهوم الصحيح للعبادة :

وقد يكون الحامل على العزلة التذرّع أمام النفس وأمام الغير بأن مخالطة الناس تشغل عن التفرغ للعبادة ، من صلاة ، إلى صيام ، إلى قراءة قرآن ، إلى ذكر ،إلى دعاء ، إلى استغفار ، إلى تفكر . . . إلخ ، مع الغفلة عن المفهوم الصحيح للعبادة؛ إذ المفهوم الصحيح للعبادة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله :

« إنها اسم جامع لكلّ ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال ، الظاهرة والباطنة ، فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج عبادة ، والدعاء، والاستغفار ، والذكر ، وتلاوة القرآن عبادة ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام عبادة ، والوفاء بالعهود عبادة ، والدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين عبادة ، والإحسان للجار واليتيم ، والمسكين ، وابن السبيل ، والخادم ، والرحمة بالضعيف ، والرفق بالحيوان عبادة ، وكذلك حبّ الله ورسوله ، وخشية الله ، والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه، والرّضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء فى رحمته ، والخوف من عذابه وأمثال ذلك كله عبادة » .

والقرآن الكريم، والسنّة النبوية، يصدّقان هذا المفهوم الذى قاله شيخ الإسلام.

على أنّ مخالطة الناس لا تمنع أن تكون للمسلم أوقات يخلو فيها بنفسه ليؤدى واجبا، أو يتقرّب إلى الله بنفل، أويحفظ علما، أو يحقّق مسألة، أو يتلو قرآنا، أو

يذكر ويتفكر، أو يحاسب نفسه، وذلك هو معنى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : خذوا حظكم من العزلة .

كأن غياب المفهوم الصحيح للعبادة عن بال المسلم العامل ، وحصره العبادة فى دائرة الشعائر التعبدية ، متوهما أن حياة الجماعة تحول بينه وبين التفرغ الكامل لأداء هذه الشعائر ، كل هذا يوقعه لا محالة فى آفة العزلة أو التفرّد .

٦ ـ الاعتذار بانتشار الشرّ والفساد ، مع الغفلة عن دور المسلم حين ينتشر الشرّ والفساد :

وقد يكون الحامل على العزلة الاعتذار بانتشار الشر والفساد ، مع الغفلة عن دور المسلم حين ينتشر الشرّ والفساد؛ إذ إن دور المسلم فى هذه الحال أن ينشط للمقاومة بكل الأساليب المتاحة والوسائل الممكنة ، ولا يلجأ إلى العزلة إلا عند تمكّن الدّاء وعجز الوسائل وخوف الفتنة .

وإذا ما غفل المسلم العامل عن حقيقة هذا الدور ، فإنه يفرّ لأول وهلة إلى العزلة أو التفرد ، وتتحول الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد .

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ** ﴾ [البقرة : ٢٥١] . ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**﴾ [الحج : ٤٠] .

وصدق الرسول ﷺ النّاصح : « مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا، ونَجَوْا جميعا » (١).

٧ ـ الاطلاع على صور من المحن والشدائد ابتلى ويبتلى بها العاملون لدين الله ، على مدار التاريخ ، مع الغفلة عن موقف هؤلاء العاملين من هذه الصور :

وقد يكون الحامل على العزلة الاطلاع على صور من المحن والشدائد، ابتلى

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الشركة : باب هل يقرع فى القسمة والاستهام فيه ٣/ ١٨٢، وكتاب الشهادات : باب القرعة فى المشكلات . . . إلخ ٣/ ٢٣٧ من حديث النعمان بن بشير مرفوعا به ، وبنحوه .

ويبتلى بها العاملون لدين الله، على مدار التاريخ، مع الغفلة عن موقف هؤلاء العاملين من هذه الصور، إذ إن موقف هؤلاء إنما كان اليقين التام بأن الابتلاء سنة من سنن الله فى الدعوات ثم الاعتراف بالتقصير واللجوء إلى الله أن يثبت أقدامهم على الطريق، وأن ينصرهم، وقد قبل الله منهم فثبتهم ونصرهم: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) ﴾ [آل عمران] .

نعم ، إن العامل إذا اطلع على هذه الصور، وكان فى غفلة عن موقف أولئك الممتحنين يسيطر عليه الخوف والهلع، ويحاول أن يجد مخرجا، وحينئذ تسوّل له نفسه، ويزين له الشيطان أن المخرج إنّما يكون فى العزلة أو التفرد، فيركن إلى ذلك.

٨ ـ صحبته نفر من المسلمين منهجهم العزلة ، وسيرتهم التفرد :

وقد يكون الحامل على العزلة صحبته نفر من المسلمين منهجهم العزلة ، وسيرتهم التفرد ؛ نظرا لأن المرء شديد التأثر بقرينه ، لاسيّما إذا كان هذا القرين ذا شخصية مؤثرة ، وممن يقتدى ، أو يتأسى به . يقول ﷺ : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » (١) .

٩ ـ تعدد الهيئات والجماعات العاملة لدين الله :

وقد يؤدى تعدد الهيئات والجماعات العاملة لدين الله إلى أن يقع المسلم العامل فى حيرة من أمره، مع أى من هذه الهيئات وتلك الجماعات يعمل، وعن أى منها يبتعد ؟ وتنتهى به هذه الحيرة إلى العزلة أو التفرد ، لاسيّما إذا لم يكن يعرف حقيقة هذه الهيئات ، وتلك الجماعات وموقفه منها ؛ إذ إن حقيقة هذه الهيئات وتلك الجماعات أنها جميعا على خير ، بيد أن هذا الخير متفاوت ، فمنها ما هو على جزء يسير من الخير ، ومنها ما هو على كثير من الخير ، ومنها ما هو على الخير كله ، وأن موقفه منها يفرض عليه أن يتعرف عليها جميعا (أهدافا ، ووسائل، ثم يسير مع من كانت على الخير كله) :

ـ بأن يكون هدفها تطبيق شرع الله ، ومنهجه فى الأرض : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾ [الأنعام : ٥٧] ، ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة : ٤٩].

(١) سبق تخريجه ص ٢٠.

ـ وأن تقصد بكل ما يصدر عنها من أقوال وأفعال وجه الله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾

[الانعام]

ـ وأن تخلع كل ولاء إلا ولاء الله ورسوله والمؤمنين المستمسكين بهدى الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾ [المائدة] .

ـ وأن تفهم الإسلام فهما وسطا دون غلو أو تشدد ، ودون تفريط أو إسراف، ثم تعمل به كله من السّواك إلى الجهاد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾

[البقرة : ٢٠٨]

ـ وأن تعمل ابتداء على إيجاد الشخصية المسلمة الجامعة لكل خصال الخير، المتأبية على كل خصال الشرّ، المستأهلة لعون الله وتأييده ونصره: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم ﴾ [الرعد : ١١] ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾

[الشمس]

ـ وأن تتوسع فى تحقيق هذه الشخصية المسلمة بحيث تنتشر ، وتعم المجتمع كله، بل العالم كله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الانبياء] .

ـ وأن تجتهد فى الربط بين هذه الشخصيات المسلمة بحيث تصدر عن رأى واحد، وتصير فكرًا واحدًا ، وقلبًا واحدًا ، وروحًا واحدة، ومشاعر واحدة، وإن تعددت الأجساد: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ـ وأن تنطلق من ترتيب واع دقيق مبنى على دراسة وفهم الواقع باستمرار، ثم التعامل معه بناء على هذه الدراسة، وهذا الفهم : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] ، ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) ﴾

[هود]

ـ وأن تراعى الأولويات فى العمل ، بحيث إذا أصيبت بضيق ذات اليد ، وقصرت بها إمكاناتها ووسائلها، قدمت بعض الأصول على بعض، بل والأصول على الفروع، والفرائض على النوافل ، والمجمع عليه على المختلف فيه ، كما صنع ﷺ حين سعى

إلى تحطيم الأصنام الموجودة بداخل النفس البشرية قبل تحطيم الأصنام التى كانت فى جوف الكعبة ، وعلى سطحها .

ـ وألا تتساهل ، أو تتهاون فى الأصول المجمع عليها ، مع التماس الأعذار فى الفروع المختلف فيها ، وبذلك تفتح الباب للتعاون مع جميع العاملين .

ـ وأن يكون لها منهاج واضح الأركان ، محدد المعالم ، يأخذ بيد الفرد من طور إلى طور ، ومن مرحلة إلى مرحلة ، فيشبع تطلعاته ، ويجيب على تساؤلاته ويرفع من مستواه .

ـ وأن يكون قد ظهر ثباتها أو صبرها على مشاق ومتاعب الطريق ، فصمدت أمام الإرهاب، واستعلت على المحن والشدائد، وبذلك استحقت أن تكون إماما ورائدا لباقى العاملين : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد].

ـ وأن تكون قد قطعت شوطا طويلا فى العمل ، بحيث صارت ذا دراية وخبرة بالطريق ، وبهذا توفر على من يسير معها جهدا ، ووقتا ، ومالا .

ـ وأن يكون دأبها التأنى والتروى وعدم الاستعجال : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

ـ وأن يكون معها من يوجهها ، ويرشدها بحيث يرتب العمل ، وتوضع الأمور فى نصابها .

ـ وأن ينزل جميع أبنائها على رأى من يوجههم ما دام فى المعروف .

ـ وأن يكون هناك التناصح بشروطه وآدابه ، وقبول هذا التناصح والرضا به .

ـ وأن تكون هناك الدقة والأمانة فى اختيار العاملين ليقطع الطريق على المتربصين: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢].

ـ وأن يكون هناك الاتباع لا الابتداع: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾

[الكهف : ١١٠]

١٠ ـ الغفلة عن الآثار المترتبة على العزلة سواء منها ما يتصل بالعاملين أو بالعمل الإسلامى :

وأخيرًا، قد يكون الحامل على العزلة الغفلة عن الآثار المترتبة على هذه العزلة سواء

منها ما يتصل بالعاملين أوبالعمل الإسلامى، على النحو الذى سنعرض له بعد قليل؛ إذ إن من غفل عن الآثار الضارة المترتبة على أمر ما، وقع لا محالة فى هذا الأمر .

ثالثا : آثار العزلة أو التفرد :

هذا وللعزلة أو التفرُّد آثار ضارة، وعواقب سيئة، سواء على العاملين، أو على العمل الإسلامى ، ودونك هذه الآثار :

أ ـ على العاملين :

فمن آثارها على العاملين :

١ ـ **جهلهم بأبعاد ومعالم شخصيتهم** : ذلك أن الإنسان ـ مهما يكن ذكاؤه، ومهما تكن فطنته ـ لا يمكنه وحده أن يعرف أبعاد ومعالم شخصيته معرفة دقيقة ، بل لابد من آخرين يعينونه على ذلك ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، لا يستطيع الإنسان أن يكتشف ما فى شخصيته من أثرة ، وأنانية أو إيثار، وتعاون، إلا إذا عاش بين الناس وخالطهم ، ورأى أصحاب الحاجات منهم ، ثم تأمل فى نفسه : هل تقسو وتجمد ، فتشح وتبخل ؟ وحينئذ تكون الأثرة والأنانية ، أو ترق وتلين ، فتجود وتعطى ؟ وحينئذ يكون الإيثار والتعاون ، وكذلك لا يمكنه أن يقف على ما فى شخصيته من حلم وأناة ، أو حمق وعجلة ، إلا إذا خالط الناس ، وصادف طبقات من غير أولى الكياسة، ونظر : هل يقابل خشونة ألسنتهم باللين ، وغلظة قلوبهم بالرفق ؟ وهنا يكون الحلم والأناة ، أو يقابلها بمثلها أو أشد ؟ وهنا يكون الحمق والعجلة .

وأيضا لا يعرف الإنسان مالديه من الشجاعة الأدبيّة ، أو الجبن والخور ، إلا إذا لزم الجماعة ، ورأى من يخطئ ، ثم تبصّر فى نفسه :

هل يهون عليها أن تقول لهذا المخطئ : إنّ الصواب فى غير ما نطقت ، والحقّ فى غير ما رأيت، والخير فى غير ما أتيت ؟ وهنالك تكون الشجاعة الأدبية، أو يعزّ عليها أن تقول ذلك ، فتصمت وتخرس؟ وهنالك يكون الجبن والخور .

وبالمثل : لا يدرك الإنسان ما تنطوى عليه شخصيته من صدق وكذب، من أمانة وخيانة ، من نظام أو فوضى ، إلا إذا عاش فى وسط جماعة ، وحدّث أفرادها ، أو ائتمنوه على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، أو ضرب لهم موعدا ، أو أعطى من نفسه عهدا لهم ، ثم نظر :

هل يحدثهم بما يوافق الحقيقة والواقع فيكون صدوقا، أو بما يخالفها فيكون كذوبا؟

وهل يحافظ على دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم، فيكون أمينا، أو يعتدى عليها ويهدرها فيكون خائنا ؟

وهل يحافظ على عهده ، ويفى بوعده فيكون دقيقا ، منضبطا ، منظما، أو يهمل ويخلف فيكون فوضويا ، غير دقيق ، ولا منظم ، ولا منضبط ؟

كأنّ المسلم إذا عاش فى عزلة أو منفردا ، فإن شخصيته تبقى مجهولة لديه، وذلك هو الخسران بعينه ، إذ ربّما يفعل الشر ، ظانّا أنه الخير ، وربما يترك الخير، معتقدا أنه الشر ؛ ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)** ﴾ [الكهف] .

ولعل هذا الأثر هو المفهوم من قوله ﷺ : « المؤمن مرآة المؤمن . . . » (١) .

ومن قول عمر رضي الله عنه : رحم الله امرأ أهدى إلينا عيوبنا (٢) .

أى أن الطريق التى يعرف بها المسلم أبعاد ومعالم شخصيته من كمال أو نقص، قوة أو ضعف ـ فينمى نواحى الكمال والقوة ، ويستكمل ويقوى نواحى النقص والضعف ،إنما هى الجماعة ، وبغيرها يعيش المسلم فى عماية، وعلى غير هدى .

٢ ـ حرمانهم من المعين الذى يمكن أن يأخذ بأيديهم ، ويساعدهم على إصلاح عيوبهم : ذلك أن الإنسان قد يُهْدى إلى عيوبه ، لكنه قد يكون من ضعف الإرادة ، وخور العزيمة ، بحيث يعجز بمفرده عن إصلاح وتقويم هذه العيوب ، ولابد له من معين يعينه على نفسه ، وحين يختار العزلة أو التفرّد يحرم هذا المعين ، ويبقى طوال حياته غارقا فى المعاصى والسيئات .

ولعلّ هذا الأثر هو المفهوم مما جاء : « المؤمن مرآة أخيه ، إذا رأى فيه عيبا أصلحه » (٣) . « من ولاه الله عز وجل من أمر المسلمين شيئا فأراد به خيرا ، جعل له

---

(١) سبق تخريجه ص ٦٢ .

(٢) الأثر أورده ابن قدامة فى: مختصر منهاج القاصدين: الفصل الثالث، علامات مرض القلب ص ١٧١ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الأدب المفرد : باب المسلم مرآة أخيه ص ١٠٧ رقم (٢٣٨) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه موقوفا عليه به، ومرفوعا إلى النبى ﷺ بلفظ : « المؤمن مرآة أخيه ، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه »، وهو عند أبى داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى النصيحة والحياطة ٤ / ٢٨٠ باللفظ المرفوع، إلاّ أن فيه : «المؤ من مرآة المؤمن » بدل : « المؤمن مرآة أخيه » رقم (٤٩١٨) .

وزير صدق ، فإن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه » (١) .

٣ ـ تعطيل بعض طاقاتهم وإمكاناتهم ، الأمر الذى يجعلهم فريسة لإغواء الشيطان وإضلاله ، ووسوسته ، فضلا عما يلحق شخصيتهم من الانفصام أو الخلل : ذلك أن الإنسان ـ كما هو معلوم ـ مؤلف من جسد وعقل وروح ، أو بعبارة أخرى من مادة وروح ، والروح مزودة بطائفة من الغرائز تشبه الخيوط الدقيقة المتقابلة المتوازية ، كل غريزتين منها متجاورتان فى النفس ، وهما فى الوقت ذاته مختلفتان فى الاتجاه ، الخوف والرجاء ، الحب والكره ، الاتجاه إلى الواقع والاتجاه إلى الخيال ، الطاقة الحسية والطاقة المعنوية ، الإيمان بما تدركه الحواس والإيمان بما لا تدركه الحواس ، حب الالتزام والميل إلى التطوع، الفردية والجماعية ، السلبية والإيجابية . . . إلخ، كلّها غرائز متوازية ، ومتقابلة ـ كما ترى ـ وهى بتوازيها وتقابلها تؤدى مهمتها فى ربط الكائن البشرى بالحياة ، كأنما هى أوتاد متفرقة ، متقابلة ، تشدّ الكيان كله ، وتربطه من كل جانب يصلح للارتباط ، وهى فى الوقت ذاته توسّع أفقه وتفسح مجال حياته ، فلا ينحصر فى نطاق واحد، ولا فى مستوى واحد، بيد أن تحقيق التوازن والتكامل فى حياة الإنسان مرهون بإعطاء كلّ غريزة من هذه الغرائز حقّها ، دون زيادة أونقص .

والجماعة هى المجال الوحيد الذى يوظف سائر طاقات المسلم ، ويعمل كل الغرائز بدرجات متساوية ، ومتوازية فى نفس الوقت ، فتتكوّن الشخصية السويّة المتكاملة، الخالية من أى انفصام أو اعوجاج،والمحصّنة ضدّ كيد الشيطان وإغوائه.

وإذا حدث أن ابتعد المسلم عن الجماعة وآثر حياة العزلة أو التفرد، فإنّه تتعطل ـ لا محالة ـ بعض طاقاته وإمكاناته ، وحينئذ يكون الخلل أو الانفصام فى شخصيّته، فضلا عن وجود الفراغ الذى يمكن أن يستغله شياطين الإنس والجنّ فى إغوائه وإضلاله .

ولعلّ هذا الأثر هو مالفت النبىﷺ النظر إليه بقوله : « . . . فمن أحبّ منكم بحبوحة الجنّة ، فليلزم الجماعة ، فإنّ الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد . . . » (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ٦/ ٧٠ من حديث عائشة رضي الله عنها به، وأورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد: كتاب الخلافة : باب الوزراء ٥ / ٢١٣ ولم يعقب على رجال أحمد .

(٢) سبق تخريجه ص ٧٥ .

٤ ـ قلة رصيدهم من الخبرات والتجارب التى تعينهم على مواجهة ما يعترض طريقهم من صعاب وعقبات : ذلك أن طريق العمل لدين الله طريق مليئة بالأشواك ، محفوفة بالمخاطر ، والمسلم الحصيف الذكى هو الذى تكون لديه الخبرة أو التجربة التى تمكّنه من التغلب على هذه المخاطر ، والنجاة من تلك الأشواك .

وليس هناك مجال أرحب ، وأوسع ـ يكتسب فيه المسلم الخبرات ، ويتعلم التجارب ـ سوى العيش مع النّاس ، ومخالطتهم .

وحين ينأى المسلم العامل بنفسه عن الجماعة ، ويرضى بالعزلة أوالتفرّد ، فإنّه يحرم هذه الخبرات ، وتلك التجارب ، ويبقى طول حياته ضيّق الأفق، قاصر النظر، لا يعرف كيف يواجه أبسط المشكلات ، فضلا عن أمهاتها ، وعظائمها .

ولعلّ هذا الأثر هو مانفهمه من قوله ﷺ : « إنّما مثل الجليس الصالح ، والجليس السّوء ، كحامل المسك ، ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يحذيك ، وإمّا أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك ، وإمّا أن تجد ريحا خبيثة »[1] .

٥ ـ سيطرة اليأس والقنوط على نفوسهم ، الأمر الذى قد ينتهى بهم إلى الفتور : ذلك أن المسلم العامل لدين الله ـ لا سيّما فى هذا العصر ـ يأتيه الشيطان بين الحين والحين ، ويلقى عليه هذه التساؤلات :

ما المخرج، وأعداء الله ـ فى داخل الأمة الإسلامية ومن خارجها ـ كثير، وهم الآن ممسكون بخناق العالم الإسلامى ، ولديهم خطط ماكرة وأساليب خبيثة ؟

ويستطيع المسلم المخالط للناس، والعامل من خلال جماعة، دفع هذه التساؤلات، بأنه ليس وحيدا فى الميدان ، وإنّما هناك آخرون سواه يسيرون فى نفس الطريق ، وأولئك لهم من الوسائل والأساليب والإمكانات ، مايعينهم على مواجهة أعدائهم ، وإحباط مكائدهم ومخططاتهم.

أما إذا كان فى عزلة أو يعمل وحده ، فإنّ هذه التساؤلات تظلّ تلحّ عليه، وليس عنده ما يدفعها به ، وحينئذ يدبّ اليأس فى قلبه، والقنوط إلى نفسه، فيفتر، وربما ترك العمل لدين الله .

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٠ .

٦ ـ **قلة رصيدهم من الأجر والثواب** : ذلك أن الذى يعيش مع الناس ويخالطهم، يجد أمامه مجالات رحبة ، وميادين واسعة لتحصيل الأجر والثواب، فهناك مجالس العلم، للإفادة أو الاستفادة ، وهناك عيادة المرضى ، وزيارة الإخوان تأكيدا لمودتهم، أو تهنئة بنعمة ، أو تعزية على مصيبة ، وهناك إرشاد للناس وتوجيههم إلى الخير، ومد يد المعونة على ما يسد حاجاتهم، أو تقوى به شوكتهم . . . وهكذا .

أما الذى يعيش منفردا أو منعزلا فإنه يحرم من هذه الميادين وتلك المجالات ، وبالتالى يقل رصيده من الأجر والثواب .

٧ ـ **عدم تمكّنهم من إقامة دين الله فى أنفسهم اليوم أو غدا**: ذلك أن الباطل لا يفتأ لحظة عن العمل بهدف أن تتحول الأرض إلى بؤرة من الشرّ والفساد، فلا يستطيع المسلم العامل أن يؤدى دورا أو أن يقوم بواجب ، وما يمكن أن يتحقق للباطل مثل ذلك إلاّ إذا فرّ أهل الحقّ من الميدان، أو عملوا متفرقين، والمعتزل واحد فرّ من الميدان، أو آثر أن يعمل وحده، ومن كان كذلك فإنّه سيضيّق عليه حتما، اليوم أو غدا .

ولعل ذلك هو ما أشارت إليه تلك النصوص التى ذكرناها آنفا فى أسباب العزلة أو التّفرد : ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ** ﴾ [البقرة : ٢٥١] . ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾** ﴾ [الحج] .

« مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا » (١) .

٨ ـ **تعريضهم أنفسهم للإثم والغضب الإلهى ، بسبب اعتزالهم الناس ومفارقتهم الجماعة** : وأنى للمسلم أن يطيق ذلك أو يتحمّله ؟ وقد قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾** ﴾ [طه] .

ولعلّ هذا الأثر هو ما نفهمه من قوله ﷺ : « من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، فمات ، مات ميتة جاهلية . . . » (٢) .

---

(١) سبق تخريجه صفحة ٨٠ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن . . . إلخ ٣ / ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ رقم (١٨٤٨) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا إلى النبى ﷺ به وبنحوه .

تلكم أهمّ آثار العزلة أو التفرّد على العاملين ، وهى فى جملتها مستفادة من قوله ﷺ: « من فارق الجماعة شبرا، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » (١) .

وكأنه يعنى بذلك أن من خرج عن الجماعة ، وفارقها فى الأمر المجمع عليه ، فقد عرَّض نفسه للهلاك والضياع ، إذ لا يؤمن عليه حينئذ الوقوع فى جميع الآثار المذكورة آنفا ، أو على الأقل فى بعضها ، تماما كما يحدث للدّابة إذا خلعت الرّبقة أو الطوق الذى يجعل فى عنقها لئلا تشرد ، فإنّه لا يؤمن عليها الهلاك والضياع .

ب ـ على العمل الإسلامى :

أما آثارها على العمل الإسلامى فتدور حول :

١ ـ سهولة ضربه ، والقضاء عليه أو على الأقل إجهاضه : فلا يؤتى ثماره إلا بعد تكاليف كثيرة، وزمن طويل، نظرا لضعفه بسبب تفرق العاملين، وعدم تضامنهم .

ولعلّ ذلك هو السرّ فى حرص أعداء الله على أن يظلّ المسلمون منقسمين على أنفسهم ، تحت شعار : « فرّق تسد » .

ولعلّه السرّ أيضا فى الأمر بالوحدة ، ونبذ الفرقة والتنازع : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] . ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [الأنفال : ٤٦] . ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة : ٢]

٢ ـ الحرمان من العون أو المدد الإلهى: ذلك أنّ العمل الإسلامى مهما تكن طاقاته، وإمكاناته ، فهو بحاجة إلى عون ، وتأييد من الله ـ عز وجل ـ وقد وعد الله أنه لا يعطى هذا العون ، وذلك التأييد ، إلا إذا كان القائمون على العمل الإسلامى ، متضامنين متكاتفين. يقول النبى ﷺ: « يد الله مع الجماعة » (٢) .

ولئن ترتب على هذا الحرمان امتحان أو ابتلاء ، فإنّه يكون رحمة وبركة على العاملين المتضامنين، ونقمة وعذابا على القاعدين، وكذلك على العاملين المتفرقين :

﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦** ﴾ [محمد] .

---

(١) سبق تخريجه ص ١٣ .

(٢) سبق تخريجه ص ٧٥ .

« إذا أنزل الله بقوم عذابا ، أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بعثوا على أعمالهم »[١] .

رابعًا : الطريق للخلاص والوقاية من العزلة :

ومادمنا قد وقفنا على أسباب العزلة ، وآثارها ، فإنّ من السهل أن ندرك طريق الخلاص والوقاية منها ، وتتلخّص فى :

١ ـ الفهم التام للعلاقة أو الصلة القائمة بين النصوص الشرعية المرغبة فى العزلة ، والأخرى الداعية إلى مخالطة الناس ، ولزوم الجماعة : فإن ذلك الفهم كفيل بانتزاع المسلم ـ إن كان صادقا مع نفسه ـ من حياة العزلة ، وإلقائه فى أحضان الجماعة ، نظرا لأن مخالطة الجماعة هى الأصل ، والعزلة أمر طارئ لا يكون إلا عند الضرورة التى لا يبقى معها دين، ولا حياة .

٢ ـ الفهم التام للظروف أو الأسباب التى دعت بعض السلف إلى العزلة أو التفرّد: فإن ذلك الفهم كثيرا ما يحول بيننا ، وبين الاقتداء بهم فى هذا الشأن ، لا سيما إذا عرفنا أنَّ عزلة هؤلاء لم يكن من ورائها ضرر ، فقد كانت دولة الإسلام قائمة والرّاية مرفوعة ، والدين كله لله ، أما عزلتنا الآن ، فمن ورائها ضرر كثير نظرا لغياب دولة الإسلام، وإمساك أعداء الله بخناقنا، وصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وحاجتنا إلى سواد كثير ، وجهود ضخمة ، متعاونة متآزرة لإعادة السلطان لله .

٣ ـ الإلمام الدقيق بمنهج الإسلام فى التوفيق بين الفردية والجماعية : فإن ذلك كفيل بدفع المسلم إلى أن يعيش فى أحضان الجماعة ، فى الوقت الذى يحافظ فيه على ذاتيته أو فرديته .

٤ ـ الوقوف على المفهوم الصحيح للعبادة : فإنه كاف فى القضاء على العزلة ، والحمل على ملازمة الجماعة ، ومخالطة الناس، دون أن يكون هناك أدنى حرج فى أن الأوقات تنفق فى غير الطاعة والعبادة .

٥ ـ مجاهدة النفس وأخذها دوما بالشدّة والحزم : لئلاّ تسيطر عليها الأهواء ، وتستبد بها الشهوات ، فتدفعها إلى العزلة ، والفرار من تكاليف مخالطة الجماعة ، والعيش بين الناس .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الفتن : باب إذا أنزل الله بقوم عذابا ٩ / ٧١ ، من حديث عبد الله بن عمر ﷺ مرفوعا به .

٦ ـ فهم الدّور الواجب على المسلم حين ينتشر الشّر ، ويعمّ الفساد: فإن ذلك كاف فى إخراج أىّ عامل من عزلته ، وحمله على مخالطة الناس ، واقتحام الخطوب ، من أجل القضاء على الشرّ ، ومقاومة الفساد ، أو على الأقل تحجيمهما .

٧ ـ اللجوء التامّ إلى الله عزّ وجلّ ، والاستعانة الصادقة به : فإنّ من يستعن بالله يعنه الله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ (البقرة) .

٨ ـ التخلص من صحبة من كان منهجهم العزلة ، وسيرتهم التفرد مع ملازمة صف العاملين : فإن ذلك له دور كبير فى القضاء على العزلة .

٩ ـ الإلمام التام بحقيقة الهيئات والجماعات العاملة لدين الله: فإن ذلك سينتهى به حتما إلى نبذ حياة العزلة، والسيّر مع من كانت على الخير كلّه، وقائمة بالحقّ جميعه.

١٠ ـ الوقوف على حقيقة المنهج الذى سلكه رسول الله ﷺ فى تشييد صرح ودولة الإسلام الأولى : فإن ذلك يعين على التخلص من العزلة ، ويحمل على الانحياز للجماعة اقتداء وتأسّيا به ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١) ﴾ [الأحزاب] .

١١ ـ إدراك أن أعداء الله من الكافرين والمنافقين ، يتعاونون فيما بينهم ، ويعملون لضرب الإسلام مجتمعين لا متفرقين ، فى شكل أحلاف عسكرية : (حلف وارسو ـ حلف الأطلنطى) ، وفى شكل أسواق تجارية : (السوق الأوروبية المشتركة) وفى شكل برلمانات وهيئات سياسية : (البرلمان الأوروبى) ، وفى شكل اتحادات جمهورية وولاياتية (جمهوريات الاتحاد السوفيتى ـ سابقًا ـ والولايات المتحدة الأمريكية) .

وإذا كان هذا شأن أعداء الله ـ وهم على الباطل ، وبينهم ما بينهم من خلافات جوهرية ـ فأولى بنا نحن المسلمين ـ لا سيّما أننا على الحقّ ، وليست لدينا خلافات جوهرية ـ أن نواجههم بنفس الأسلوب ، أى مجتمعين لا متفرقين : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) ﴾ [الأنفال] .

١٢ ـ التأمل فى حياة المخلوقات المحيطة بنا ، والموجودة حولنا: فإن ذلك التأمل سيقودنا حتما إلى أن هذه المخلوقات ما تعيش فى عزلة ، وإنما تعيش مجتمعة متعاونة لتؤدى دورها ، فها هى المجموعة الشمسية تتعاون لتوفير الضياء والدفء لسائر الكائنات الحية ، وها هى جماعة النحل تتعاون فى بناء بيوتها ، وتنظيفها ، وتوفير الحماية لها ،

ثم تسرح لتمتص رحيق الأزهار، ولتخرجه فى النهاية عسلا مصفى، فيه شفاء للناس، ومثل ذلك يحدث لجماعة النمل وباقى المخلوقات، مما حدا بالشاعر أن يقول :

النمـل تبنى قـراها فـى تمـاسكها والنحل تجنى رحيق الشهد أعوانا

وإذا كان هذا شأن المخلوقات التى لا عقل لها ، فكيف بنا نحن بنى آدم، الذين ميّزنا الله بالعقل والحرية والإرادة ، وجعلنا سادة فى هذا الكون ، وهكذا يمكن أن يؤدى مثل هذا التأمل إلى نبذ حياة العزلة ، والعيش مع الجماعة وبين الناس .

١٣ ـ الوقوف على حقيقة الآثار المترتبة على العزلة أو التفرد ، وقد ذكرناها آنفا :

فإن ذلك يقود من كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ، إلى العيش بين الناس ومخالطتهم، حذرا من الوقوع فى هذه الآثار، أو تلك العواقب .

obeikandl.com